فضل القرآن

يوم الحشر

الناشر: المكتب المصري الحديث

٢ شارع شريف عمارة اللواء بالقاهرة - تليفون: ٢٩٣٤١٢٧

٧ شارع نوبار المنشية - الاسكندرية - تليفون: ٤٨٢٦٦٠٢

عبد الحميد كشك

فضل القارئ يوم الحشر

وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ
لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ..
«قرآن كريم»

المكتب المصري الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، المبعوث رحمة للخلق أجمعين، ياخير خلق الله على الإطلاق . نشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة ومحوت الظلمة وكشفت الغمة وجاهدت فى الله حق جهاده حتى أتاك اليقين . وبعد : فإن ماديات الحياة قد تطغى على روحانياتها ، وهنا تتمرغ النفس فى ظلمات بعضها فوق بعض ، وتحاول أن تجد لها منفذاً تنفذ منه لتنتشق النسيم العاطر، نسيم الروح فتطاردها الدنيا ، وعندئذ لاعاصم اليوم من أمر الله إلامن رحم . ومن هنا فإن الإسلام يضع معالم الهداية على طريق يؤدى إلى عالم الخلود، فينادينا سبحانه وتعالى منبهاً ومحذراً ومذكراً « إذا السماء انفطرت . وإذا الكواكب انتثرت . وإذا البحار فجرت . وإذا القبور بعثرت . علمت نفس ما قدمت وأخرت » .

إنها أمارات كبرى وعلامات خطيرة تختل لها قوانين الكون ليجعلها الله لنا تذكرة وتعيها أذن واعية .

المؤلف

أأنتم اشد خلقاً أم السماء بناها

فهذه السماء المتقنة الصنع التى أخبر الله عنها بقوله « وما لها من فروج» . وأخبر عنها بقوله « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها » .

وأخبر عنها بقوله « أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها » هذه السماء التى تحدى الله بها البشرية جمعاء بقوله الذى خلق سبع سماوات طباقاً ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور » . ثم يزيد التحدى تحدياً فيقول : « ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير » .

سبحانك اللهم أنت الواحد
كل الوجود على وجودك شاهد
يامن له عنت الوجوه بأسرها رهباً
وكل الكائنات توحد
أنت الإله الواحد الحق الذى
كل القلوب له تقر وتشهد
يا حى يا قيوم أنت المرتجى
وإلى علاك علا الجبين الساجد

هذه السماء التى من أخص خصائصها أن ليس لها فروج ولا شقوق ولافطور ، أول ماتصاب به عند البعث أنها تشقق « ويوم تشقق السماء

بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا . الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً » .

هذه حال السماء فما حال الكواكب التى تسير فى أفلاكها بنظام دقيق ونظام بديع ، هذا الخلق العظيم الذى لم يستطع العلم بجبروته أن يقتحم عليه أسراره المنيعة ، والذى عندما أراد العلم أن يرفع رأسه فخوراً بما اكتشفه من هذا العالم الغامض قال إننا لم نكتشف إلاجزءاً يسيرا . هذا الجزء اليسير يشتمل على ألف مليون مجموعة شمسية . كل مجموعة تحتوى على ألف مليون نجم . أقل نجم فى هذه المجموعة شمسنا تلك التى تنير الكوكب الأرضى ، وباقى هذا العالم لايعلمه إلامن أحاط بكل شىء علماً وأحصى كل شىء عدداً ، وهذا الموقف يذكرنى بنشيد كنا نردده فى مراحل التعليم الأولى ونحن براعم لم تتفتح بعد . كان نشيد الصباح الذى نردده كما يلى :

أنظر اتساك الشجرة ذات الغصون النضرة
كيف نمت من حبة وكيف صارت شجرة
فانظر وقل من ذا الذى يخرج منها الثمرة
ذاك هو الله الذى بأنعمه منهمرة
ذو حكمة بالغة وقدرة مقتدرة
أنظر إلى الشمس التى جزوتها مستعرة
فيها ضياء وبها حرارة منتشرة

من ذا الذى أوجدها في الجو مثل الشررة
ذاك هو الله الذى أنعمه منهمرة
ذو حكمة بالغة وقدرة مقتدرة
أنظر إلى المرء وقل من شق فيه بصره
من الذى جهزه بقوة مبتكره
ذاك هو الله الذى أنعمه منهمرة
ذو حكمة بالغة وقدرة مقتدرة
أنظر إلى الليل فمن أوجد فيه قمره
وزانه بأنجم كالدرر المنتثرة
ذاك هو الله الذى أنعمه منهمرة
ذو حكمة بالغة وقدرة مقتدرة

هذه بعض مظاهر القدرة وبعض مشاهد الخلق الذى أبدعته يد الله :

سل الواحة الخضراء والماء جارياً
وهذه الصحارى والجبال الرواسيا
سل الروض مزدانا سل الزهر والندى
سل الليل والإصباح والطير شادياً
سل هذه الأنسام والأرض والسماء
وسل كل شيء تسمع الحمد سارياً

لو جن هذا الليـــل وامتـــد سرمدا
فمـــن غـــير ربى يرجع الصبح ثانيـــاً
ولم غـــار هـــذا المـــاء فى القاع هل لكم
ســـوى الله يجـــريه كما شاء راويـــاً

سبحانك ياصاحب العزة القائمة والمملكة الدائمة . أرأيت إلى هذه الكواكب يا أخا الإسلام . كيف تنثر وهى تسير فى أفلاكها كما تسير السفينة فى ساحات البحار ، وفى مساحات شاسعات تنثر هذه الكواكب كما تنثر حبات العقد إذا انفرط سلكه ؟ إنه إنذار شديد اللهجة بأن هناك محكمة ، وبأن هناك يوماً يجعل الولدان شيباً .

ويأتى المشهد الثالث من مشاهد القيامة ، وهو قوله تعالى « وإذا البحار فجرت» هذا مشهد أرضى بعد المشاهد العلوية من انشقاق السماء وانتثار الكواكب ، يلتقى المشهد الأرضى بالمشاهد العلوية إيذاناً وإعلاماً ببدء حياة جديدة تختلف كل الاختلاف عن الحياة الفانية الزائلة « واذا البحار فجرت » وما أدراك ما البحار ، خلق عظيم ، الداخل فيه مفقود والخارج منه مولود ، والناس فيه دود على عود .

ومعنى تفجير البحار هنا يقول على بن أبى طلحة عن ابن عباس : فجر الله بعضها فى بعض ، وقال قتادة اختلط عذبها بمالحها ، وقال آخرون ملئت . (وإذا القبور بعثرت) وهذا هو الموقف المحتوم والمصير المعلوم ، فبعد

انفطار السماء وانتثار الكواكب وتفجير البحار، يأتى الدور على القبور، وهى مساكن الموتى، وأرحام ستدفع مافيها للولادة الثانية، فالولادة الأولى كانت من بطون الأمهات، وتأتى الولادة الثانية من أرحام القبور.

ومعنى (بعثرت) كما قال ابن عباس رضى الله عنه بعثت، وقال السدى: تبعثر تحرك فيخرج من فيها. وهذا مصداق قوله تعالى (ثم نفخ فيه مرة أخرى فإذا هم قيام ينظرون) ومصداق قوله جل شأنه (واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب. يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج. يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير) ثم تأتى النتيجة المترتبة على تلك المقدمات وهى قوله تعالى «علمت نفس ماقدمت وأخرت»، وهذه هى الجملة الواقعة جواباً للشرط «إذا» أى إذا حدث انفطار السماء وانتثار الكواكب وتفجير البحار وبعثرت القبور، حدث العلم لكل نفس بما قدمت وأخرت، ومعنى ماقدمت وأخرت أى ماقدمت من الخير فعلته وأدته: وماسوغت فيه من الأعمال فلم تؤده ومن هنا فإن آيات الكتاب العزيز عندما تحث على أى عمل من أعمال الدنيا تخاطب المسلم بأسلوب رقيق فيه طمأنينة ورحمة وعدم عجلة وسرعة قال تعالى: «فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض» فلم يقل تعالى «فسارعوا ولا سابقوا» وقال تعالى «هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه» فالأمر هنا بالمشى لا بالمسارعة ولا بالمسابقة. أما إذا كان الأمر أمر الآخرة فإن أسلوب القرآن يدعو

إلى التعجيل بفعل الخير. والمسابقة فيه والمسارعة، قال تعالى : « لمثل هذا فليعمل العاملون » .

وقال سبحانه : « وفى ذلك فليتنافس المتنافسون » وقال جل شأنه : « سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

وقال تبارك اسمه « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين » .

هذا لتعلم كل نفس أنها فى مسيس الحاجة إلى ماقدمت من خير ، وأنه لايليق بها أن تؤخر فعل الخيرات .

قال الله سبحانه وتعالى : « فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً» «يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً وماعملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد » .

وبعد هذه المقدمات يخاطب الله العباد خطاب تحذير وتذكير :

« يا أيها الإنسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك » .

قال ابن عمر : غره والله جهله ، وروى عن ابن عباس والربيع بن خيثم والحسن مثل ذلك . وقال قتادة « ما غرك بربك الكريم » شىء ماغر ابن آدم غير هذا العدو الشيطان .

وقال الفضيل بن عياض : لوقال لى ماغرك بى لقلت ستورك المرخاة .

وقال أبو بكر الوراق لو قال لى ماغرك بربك الكريم لقلت غرنى كرم الكريم .

وقال بعض أهل الإشارة إنما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته ، كأنه لقنه الإجابة وهذا الذى تخيله هذا القائل ليس بطائل لأنه إنما أتى باسمه الكريم لينبه على أنه ينبغى أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور .

وقوله تعالى : « الذى خلقك فسواك فعدلك » أى ماغرك بالرب الكريم : « الذى خلقك فسواك فعدلك » .

أى جعلك سوياً مستقيما معتدل القامة منتصبها فى أحسن الهيئات والأشكال . قال الإمام أحمد : حدثنا أبوالمغيرة حدثنا جرير حدثنى عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشر بن جحاش القرشى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوماً فى كفه فوضع عليها إصبعه ثم قال « قال الله عز وجل : يا ابن آدم أنا تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه ؟ حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقى قلت : أتصدق وأنا أوان الصدقة؟ وكذا رواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن يزيد بن هارون عن جرير بن عثمان ، به قال شيخنا الحافظ أبوالحجاج المزى وتابعه يحيى ابن حمزة عن ثور بن يزيد عن عبد الرحمن بن ميسرة وقوله تعالى : « فى أى صورة ماشاء ركبك » .

قال مجاهد فى أى شبه أب . أو أم أو خال أو عم . وقال ابن جرير حدثنى محمد بن سنان القزاوى حدثنا مطهر بن الهيثم حدثنا موسى بن على ابن رباح حدثنى أبى عن جدى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : ماولد لك ؟ قال يارسول الله : ما عسى أن يولد لى إما غلام وإما جارية . قال فمن يشبه ؟ قال يارسول الله من عسى أن يشبه ؟ إما أباه وإما أمه . فقال النبى صلى الله عليه وسلم عندها « مه لاتقولن هكذا . إن النطفة إذا استقرت فى الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم ؟ أماقرأت هذه الآية فى كتاب الله تعالى : فى أى صورة ماشاء ركبك قال شكلك .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة أن رجلا قال يارسول الله إن امرأتى ولدت غلاماً أسود قال : هل لك من إبل ؟ قال : نعم قال : فما ألوانها ؟ قال : حمر قال : فهل فيها من أورق ؟ قال : نعم قال : فأنى أتاها ذلك ؟ قال : عسى أن يكون نزعة عرق .

قال : وهذا عسى أن يكون نزعة عرق ، وقد قال عكرمة فى قوله تعالى : « فى أى صورة ماشاء ركبك » إن شاء فى صورة القرد وإن شاء فى صورة خنزير .

قال قتادة : « فى أى صورة ماشاء ركبك » قال : قادر والله ربنا على ذلك ، ومعنى هذا القول أن الله تعالى قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق ، ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلقه على شكل

حسن مستقيم معتدل تام حسن المنظر والهيئة . وقوله تعالى : « كلا بل تكذبون بالدين » أى إنما يحملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصى تكذيب فى قلوبكم بالميعاد والجزاء والحساب .

وقوله تعالى : «وإن عليكم لحافظين . كراماً كاتبين . يعلمون ماتفعلون» يعنى وإن عليكم لملائكة حفظة كراماً فلا تقابلوهم بالقبائح فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكرموا الكرام الكاتبين الذين لايفارقونكم إلاعند إحدى حالتين ، الجنابة والغائط : فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجرم حائط ، أو ببعيره ، أو يستره أخوه .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ينهاكم عن التعرى فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لايفارقونكم إلاعند إحدى ثلاث حالات الغائط والجنابة والغسل. فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو بجرم حائط أو ببعيره » .

عن أنس قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من حافظين يرفعان إلى الله عز وجل ما حفظا فى يوم فيرى فى أول الصحيفة وفى آخرها استغفاراً إلا قال الله تعالى قد غفرت لعبدى مابين طرفى الصحيفة .

عن أبى هريرة قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم« إن لله ملائكة

يعرفون بني آدم — وأحسبه قال — ويعرفون أعمالهم . فإذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا : أفلح الليلة فلان ، نجا الليلة فلان . وإذا نظروا إلى عبد يعمل بمعصية الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا : هلك الليلة فلان » .

«إن الأبرار لفي نعيم .وإن الفجار لفي جحيم .يصلونها يوم الدين. وماهم عنها بغائبين. وما أدراك مايوم الدين ثم ماأدراك مايوم الدين .يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله » يخبر تعالى عما يصير الأبرار إليه من النعيم وهم الذين أطاعوا الله عز وجل ولم يقابلوه بالمعاصي .

عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنما سماهم الله الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء » ثم ذكر مايصير إليه الفجار من الجحيم والعذاب المقيم ولهذا قال «يصلونها يوم الدين» أي يوم الحساب والجزاء والقيامة « وماهم عنها بغائبين » ، أي لايغيبون عن العذاب ساعة واحدة ولايخفف عنهم من عذابها ولا يجابون إلى مايسألون من الموت أو الراحة ولو يوماً واحداً .

وقوله تعالى : « وما أدراك مايوم الدين » تعظيم لشأن يوم القيامة ثم أكده بقوله تعالى « ثم ما أدراك ما يوم الدين » .

ثم فسره بقوله : « يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً » أي لايقدر أحد على نفع أحد ، ولا خلاصه مما هو فيه إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى .

ونذكر هاهنا حديث « يابنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار لا أملك لكم من الله شيئاً » .

وقوله تعالى : « والأمر يومئذ لله » كقوله تعالى « لمن الملك اليوم لله الواحد القهار » وكقوله « الملك يومئذ الحق للرحمن » وكقوله : « مالك يوم الدين » .

قال قتادة : « يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله » والأمر والله اليوم لله ولكنه لاينازعه فيه يومئذ أحد .

أرأيت يا أختى كيف أظهر القرآن الكريم فى هذه السورة المباركة مشاهد القيامة بارزة أمام الأبصار ، وكيف شخصت مواقفها كأنها الشمس فى ضحاها. وكيف ذكرت المقدمات ثم عقبت عليها بالنتيجة ، أعد قراءة السورة وتأمل مافيها وقف عند عجائبها وحرك بها القلوب ، تجد فى كوامنها مايثير فى النفس الشجن ويملأها بعميق العجب .

« إذا السماء انفطرت . وإذا الكواكب انتثرت . وإذا البحار فجرت . وإذا القبور بعثرت . علمت نفس ماقدمت وأخرت . يا أيها الإنسان ماغرك بربك الكريم . الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ماشاء ركبك . كلا بل تكذبون بالدين وإن عليكم لحافظين . كراماً كاتبين . يعلمون ماتفعلون . إن الأبرار لفى نعيم . وإن الفجار لفى جحيم . يصلونها يوم الدين . وماهم عنها بغائبين . وما أدراك ما يوم الدين . ثم ماأدراك مايوم الدين . يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً . والأمر يومئذ لله » .

نماذج من العباد فى ساحة الحساب .

صدقت يارب العزة وقولك الحق « وإن عليكم لحافظين . كراماً كاتبين . يعلمون ماتفعلون » يقول العلماء المحققون :

الناس فى الحساب على أصناف متعددة

١ — صنف يحاسبون حساباً يسيرا بلا مناقشة ولا تشديد وإنما تعرض عليهم أعمالهم عرضاً ، ثم إن الله تعالى يتجاوز عن سيئاتهم ويغفرها لهم ، وهؤلاء هم الذين أوتوا كتبهم بأيمانهم .

قال الله تعالى : « فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيرا . وينقلب إلى أهله مسروراً » وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من نوقش الحساب عذب » وفى رواية « من حوسب عذب » .

أى من حوسب حساب مناقشة وتشديد عذب لامحالة . قالت عائشة رضى الله عنها : فقلت يارسول الله أليس قد قال الله عز وجل « فسوف يحاسب حساباً يسيرا » .

فقال صلى الله عليه وسلم : « ليس ذاك الحساب ، إنما ذاك العرض ومن نوقش يوم القيامة عذب » .

فلما أخبر صلى الله عليه وسلم أن من نوقش الحساب عذب استشكلت

السيدة عائشة رضى الله عنها بأن هناك من يحاسب ولا يهلك ولا يعذب وهم أهل الحساب اليسير ، فأجابها صلى الله عليه وسلم بأن أهل الحساب اليسير لم يحاسبوا مناقشة وتدقيقاً وإنما حسابهم هو عرض أعمالهم ، ثم التجاوز عن سيئاتهم .

روى البخارى وغيره عن ابن عمر رضى الله عنهما ، وسأله رجل : كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول العبد : أعرف ربى . أعرف ربى ، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى نفسه أنه قد هلك قال الله تعالى : سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم . فيعطى كتاب حسناته . وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد : « هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين » .

قال العلامة الخازن « والحساب اليسير هو أن تعرض على العبد أعماله فيعرف بالطاعة والمعصية ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز له عن المعصية . فهذا هو الحساب اليسير لأنه لا شدة فيه على صاحبه ولامناقشة ، ولايقال له : لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر فيه ولا الحجة عليه فإنه متى تاب طولب بذلك لم يجد عذراً ولا حجة فيفتضح . ا . هـ

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاث من كن فيه حاسبه الله حساباً يسيرا وأدخله الجنة برحمته

قالوا : وماهي يا سول الله بأبي أنت وأمي ؟ قال : تعطي من حرمك ، وتصل من قطعك ، وتعفو عمن ظلمك ، فإذا فعلت ذلك تدخل الجنة .

٢ — صنف يحاسبون حساباً عسيرا مناقشة وتدقيقاً فهؤلاء لابد أن يهلكوا أو يعذبوا .

قال صلى الله عليه وسلم : « من نوقش الحساب يهلك » الحديث .

ولذلك كان من شأن المؤمنين أنهم يخافون من سوء الحساب وشدته كما وصفهم الله تعالى بقوله : « ويخافون سوء الحساب » .

فالمؤمن من ينظر إلى تقصيره فى أعماله مع الله تعالى فيخاف سوء الحساب ، ولكنه ينظر إلى سعة رحمة الله وعفوه فيحسن ظنه بربه تعالى ويرجو مغفرته ورحمته .

روى مسلم فى صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل » .

زاد ابن أبي الدنيا فى روايته : فإن قوماً قد أرداهم سوء ظنهم بالله عز وجل . فقال لهم « وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين » .

وروى الإمام أحمد وابن أبي الدنيا وغيرهما عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن شئتم أنبأتكم ما أول مايقول الله عزوجل للمؤمنين يوم القيامة ، وما أول مايقولون

له ؟ » قلنا نعم يارسول الله ، قال : « إن الله عز وجل يقول للمؤمنين : هل أحببتم لقائى ؟ فيقولون : نعم يارينا فيقول : لم ؟ فيقولون : رجونا عفوك ومغفرتك فيقول : قد وجبت لكم مغفرتى »

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمر الله عز وجل بعبد إلى النار فلما وقف على شفتيها — أى طرفيها — التفت فقال : أما والله يارب إن كان — أى أنه كان — ظنى بك لحسن . فقال الله عز وجل : ردوه — أى إلى الجنة — أنا عند حسن ظن عبدى بى ».

فالمؤمن الكامل المتحقق بمقام الخوف والرجاء : ينظر إلى ذنوبه وتقصيره فى عمله مع الله تعالى فيخاف ربه ، وينظر إلى سعة مغفرة الله تعالى وسعة رحمته تعالى فيرجو مغفرة الله تعالى ورحمته .

روى الترمذى عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو فى الموت فقال له صلى الله عليه وسلم : « كيف تجدك؟ فقال : يارسول الله أرجو الله تعالى وأخاف ذنوبى ، فقال صلى الله عليه وسلم ما اجتمعا — أى الرجاء والخوف — فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا غفر الله له » .

وقد أوضح الإمام الغزالى رضى الله عنه أن الرجاء الصحيح هو الذى يحمل صاحبه على الصالح من العمل ما استطاع صاحبه ، قال الله تعالى : « إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم » .

فوصفهم بالإيمان وبالعمل الصالح وهو الهجرة والجهاد فى سبيله ، ثم أثبت لهم الرجاء الصحيح .

وقال تعالى : « إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور » وأما من قعد عن العمل وأخلد إلى الكسل ومشى وراء أهواء نفسه المحرمة ثم زعم أنه يرجو رحمة الله فيقال له أنت لست من أهل الرجاء بل أنت مغرور بالأمانى . قال صلى الله عليه وسلم : «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » رواه الترمذى .

٣ — وصنف يدخلون الجنة بغير حساب — اللهم ألحقنا بهم — وهذا الصنف يشتمل على أصناف متعددة متفاوتة المراتب ، فهناك صنف يدخلون الجنة بغير حساب بسبب أنهم من أهل التوكل الخاص ، ويدخل بمعيتهم أعداد كثيرة لكرامتهم وفضلهم عند الله تعالى .

قال البخارى فى صحيحه : باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ثم أسند إلى ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه «عرضت على الأمم فأخذ النبي يمر ومعه الأمة ، والنبي يمر معه النفر ، والنبي يمر معه العشرة ، والنبي يمر معه الخمسة ، والنبي يمر وحده ، فنظرت فإذا سواد — أى أشخاص — كثير قلت ياجبريل هؤلاء أمتى ؟ فقال : لا ولكن أنظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد كثير فقال جبريل : هؤلاء أمتك وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لاحساب عليهم ولاعذاب قلت :

ولم ؟ قال : كانوا لايكتوون ولا يسترقون ولايتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » .

وفى رواية لمسلم زيادة : « لايرقون »

وعنده أيضاً : إذ رفع لى سواد عظيم فظننت أنهم أمتى فقيل هذا موسى وقومه ، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لى انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لى هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب » .

وفى لفظ للإمام أحمد، قال صلى الله عليه وسلم «فرأيت أمتى قد ملؤوا السهل والجبل فأعجبتنى كثرتهم وهيئتهم فقيل لى : أرضيت يامحمد ؟ قلت : نعم أى رب » .

وروى الإمام أحمد عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعطيت سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ، وجوههم كالقمر ليلة البدر ،قلوبهم على قلب رجل واحد، فازتزدت ربى فزادنى مع كل واحد سبعين ألفاً» فقال أبو بكر رضى الله عنه فرأيت أن ذلك آت على أهل القرى ، ومصيب من حافات البوادى .

وروى أيضاً عن ثوبان رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفاً لاحساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفاً .

وروى الطبرانى عن عتبة بن عبد السلمى رضى الله عنه قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن ربى عز وجل وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفاً بغير حساب ،ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفاً ثم يحثى ربى عزوجل بكفيه ثلاث حثيات» فكبر عمر وقال إن السبعين الأول يشفعهم الله تعالى فى آبائهم وأبنائهم وعشيرتهم وأرجو أن يجلعنى الله فى إحدى الحثيات الأواخر .

ومن جملة الذين يدخلون الجنة بغير حساب قوام الليل . روى البيهقى عن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يحشر الناس فى صعيد واحد يوم القيامة فينادى مناد فيقول : أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع ؟ فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ، ثم يؤمر بسائر الناس إلى الحساب » .

ومن جملة من لاحساب عليه : قارىءالقرآن ابتغاء وجه الله تعالى، ومن أم قوما وهم بهراضون وداع يدعو إلى الصلاة، وعبدمملوك أحسن فيما بينه وبين ربه ، وفيما بينه وبين مواليه » .

روى الطبرانى فى الأوسط والصغير بإسناد لا بأس به عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول لله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لايهولهم الفزع الأكبر ولاينالهم الحساب وهم على كثيب من مسك حتى يفرغ من حساب الخلائق : رجل قرأ القرآن ابتغاء وجهالله تعالى ، وعبد أحسن فيما بينه وبين ربه وفيما بينه وبين مواليه » .

ومن جملة من يدخل الجنة بغير حساب العلماء العاملون .فعن ثعلبة بن الحكم الصحابى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول الله عز وجل للعلماء يوم القيامة إنى لم أجعل علمى وحلمى فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان فيكم ولا أبالى » .

وعن أبى موسى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يميز العلماء فيقول : يامعشر العلماء إنى لم أضع علمى فيكم لأعذبكم . اذهبوا فقد غفرت لكم » .

ومن جملة الذين يدخلون الجنة بغير حساب : الشهداء والعافون عن الناس . روى الطبرانى بإسناد حسن عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا وقف العباد للحساب جاء قوم واضعى سيوفهم على رقابهم تقطر دماً فازدحموا على باب الجنة ، فقيل من هؤلاء قيل الشهداء كانوا أحياء يرزقون ثم نادى مناد : ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة . ثم نادى الثانية ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة . قيل ومن ذا الذى أجره على الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : العافون عن الناس ثم نادى الثالثة ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة فقام كذا وكذا ألفا فدخلوها بغير حساب ، ومن جملة الذين يدخلون الجنة بغير حساب الحامدون فى السراء والضراء ورجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن « ذكر الله تعالى » .

روى البيهقى (فى الشعب) وابن مردون وابن أبى حاتم وغيرهم عن أسماء بنت يزيد بن السكن ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يجمع الله الناس يوم القيامة فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم

البصر ، فيقوم مناد فينادى أين الذين كانوا يحمدون الله فى السراء والضراء ، فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ، ثم يعود فينادى أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع ؟ فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ، فيعود فينادى أين الذين كانوا لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله ؟ فيقومون وهم قليل ، فيدخلون الجنة بغير حساب .

نظرة فى قوله تعالى : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد » .

اعلم أخى المسلم أن الله جل جلاله اقتضت عدالته أن يجزى المحسن إحساناً والمسىء سوءاً ، ومن ثم فإن الأعمال تأتى يوم القيامة على صورة تكاد تكون ملموسة قال تعالى : ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولاكبيرة إلاأحصاها ووجدوا ماعملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً .

تأمل معى فى قوله جل شأنه « ووجدوا ماعملوا حاضراً » يخيل إليك أن الأعمال أصبحت شاخصة أمام العيون كأنها كائنات حية تلمس بالأيدى وترى بالعين وتقع تحت حس الحواس ، منتهى المنظر الدال على عدالة صاحب العظمة المطلقة والكمال المطلق .

قال العلماء فى هذه الآية :

والمعنى : واذكر يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا أمامها

مشهوداً معايناً لديها والذى عملته من الشر تود حين تراه لو أن بينها وبينه أمداً بعيدا ، أى مسافة بعيدة ، أى تود لو أن بينه وبينها بعد المشرقين فلايجتمعان ولايلتقيان أبداً (ويحذركم الله نفسه) والمعنى : أن الله سبحانه يخوفكم نفسه فلا تتعرضوا لغضبه وسخطه ولا لعـذابه ولا لعتابه ولا لحجابه والله رءوف بالعباد ، ومن رأفته بهم أنه حذرهم وأنذرهم عذابه وعقابه وغضبه ، ومن أنذر فقد أعذر ، ففى هذه الآية دليل على أن الأعمال كلها خيرها وشرها سوف يحضرها الله تعالى يوم القيامة ويراها صاحبها. قال تعالى « ووجدوا ماعملوا حاضراً » أى موجوداً وليس المراد حضورها فى الكتاب ، إذن لقيل ووجدوا ماعملوا مكتوباً أومسطوراً ، وإنما يرونه حاضراً بوجود مثالى وذلك أن هناك عالماً كبيراً واسعاً يسمى عالم المثال تتمثل جميع الأشياء فيه سواء كانت حسية أو معنوية ، وسواء كانت جسمية أو عقلية أوعملية ، تتمثل هناك بمثال يناسبها ، فالحسنات تتمثل بصورة نيرة حسنة ، والسيئات بصور مظلمة سيئة قبيحة .

روى الإمام مسلم عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن — أو تملآ — مابين السماء والأرض والصلاة نور ، والصبر ضياء ، والصدقة برهان ، والقرآن حجة لك أو عليك » .

فالصلاة تتمثل بصور نورانية لصاحبها ، والصيام ضياء له والصدقة — أى الزكاة — تأتى يوم القيامة برهاناً لفاعلها على صدق إيمانه ، والقرآن يقف مع العبد موقف الحجة له إن عمل به ، وعليه إن لم يعمل به .

روى مسلم عن أبي أمامة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه . إقرءوا الزهراوين : البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما . اقرءوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة »

يعنى ان واظب على قراءة سورة البقرة حلت عليه البركة فى عمره وعمله ورزقه وأهله وداره وحفظه الله تعالى من البطلة أى السحرة .

ومعنى الزهراوين تثنية زهراء وسميت بذلك لشدة نورها وجمالها .

والغمامة والغياية : كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة أو غيرها والمعنى أنها تظله من حر الموقف وشدة الحساب .

وفى صحيح مسلم عن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به فى الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران » .

وضرب لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال مانسيتهن بعد. قال : كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق — أى ضوء — أو كأنهما — فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما .

فقراءة سورة البقرة وآل عمران تتمثل يوم القيامة بطير صواف اجنحتها يحاجان ويدافعان عن صاحبهما يوم القيامة .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام رب منعته

الطعام بالنهار فشفعنى فيه ، ويقول القرآن رب منعته النوم بالليل فشفعنى فيه ، فيشفعان » رواه أحمد وابن أبى الدنيا والطبرانى والحاكم .

وقال الله تعالى : « وأن ليس للإنسان إلا ماسعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى » .

فأثبت سبحانه هنا أن للسعى أمرين: أحدهما أنه يرى .ثانيهما أنه يجزى صاحبه الجزاء الأوفى .

وقال تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

قال الله تعالى : « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السماوات والأرض والله بما تعملون خبير » .

والمعنى : لايحسبن الذين يبخلون أن يؤدوا زكاة أموالهم أن البخل خير لهم وتوفير لمالهم وحفظ له من النقصان بل إن البخل شر لهم فى الدنيا والآخرة ، فإنه لاخير فى مال لاتؤدى زكاته ، وليعلموا أنهم « سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة » .

قال ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم فى هذه الآية : يجعل مامنعه من الزكاة حية تطوق فى عنقه يوم القيامة تنهشه من فرقه إلى قدمه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً — أى ثعباناً عظيما — أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه — يعنى شدقيه — ثم يقول : أنا مالك . أنا كنزك . ثم تلا « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم » .

ومعنى (زبيبتان) أى نكتتان سوداوان فوق عينى الحية الكبيرة .

وروى مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه قال : انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رآنى قال « هم الأخسرون ورب الكعبة » قال : فجئت حتى جلست فلم ألبث أن قمت فقلت يارسول الله ! فداك أبى وأمى من هم الأخسرون ؟ قال : « هم الأكثرون أموالا إلا من قال : هكذا وهكذا وهكذا : من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ماهم ؛ ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لايؤدى زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ماكانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها ، كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس » .

فالحيوانات التى لاتزكى تعاد أسمن ما كانت تنطح صاحبها وتطؤه ، والذهب والفضة ونحوهما من المال الذى لايزكى ويسمى كنزاً فإنه يمثل لصاحبه ثعباناً عظيما .

وعن ثوبان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من ترك بعده كنزاً مثل له يوم القيامة شجاعاً — أى حية كبيرة — أقرع له زبيبتان يتبعه فيقول : من أنت ؟ فيقول أنا كنزك الذى خلفت . فلا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقضمها — أى يأكلها بأطراف أسنانه — ثم يتبعه سائر جسمه » رواه البزار وقال إسناد حسن .

وعن بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وإن الذى لايؤدى زكاة ماله يخيل إليه ماله — أى يمثل له ماله — يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان . قال فليزمه أو يطوقه يقول : أنا كنزك ، أنا كنزك » رواه النسائى بإسناد صحيح .

كلمة عن القرآن الكريم

أيها القارىء لقد علمت فيما مضى ما للقرآن من مكانة يوم القيامة ، وماله من ظل ظليل يوم تدنو الشمس من رؤوس العباد ، وماله من فضل إذا تلى فى البيوت ، وأن الشيطان لايدخل بيتاً أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه . وعزيز علينا أن نترك هذا الموقف يمر مروراً سريعاً دون أن نفيض فيه القول ، وهاك حشداً من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم فى فضل القرآن فى الدنيا والآخرة .

فاللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ، ونور صدورنا ، وجلاء همنا ، وذهاب حزننا ، واجعله حجة لنا لا علينا ، وشفيعا لنا إلى الجنة ، والآن إلى هذه الكلمات المضيئة من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم .

عن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وغيرهم .

ومعنى الحديث أن أفضلكم الذى جاهد نفسه فى حفظ القرآن وفهم معناه وتفسير آياته ثم يعلمه ويوضح مجمله ويدعو الناس إلى العمل به .

وفى الحديث الحث على تعليم القرآن :

قال الشرقاوى : لاريب أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدى ، لايقال إن من لازم هذا أفضلية المقرىء على الفقيه لأن المخاطبين بذلك كانوا فقهاء الناس بذلك ، إذ كانوا يدرون معانى القرآن بالسليقة أكثر من دراية من بعدهم بالاكتساب ، فإن قلت يلزم أن يكون المقرىء أفضل ممن هو أعظم عناء فى الإسلام بالمجاهدة والرباط والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أجيب بأن ذلك دائر على النفع المتعدى فمن كان عنده حصوله أكثر كان أفضل .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » رواه الترمذى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » رواه مسلم وأبو داود وغيرهما .

والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم « وذكرهم الله فيمن عنده » أنه جل فى علاه أثنى عليهم فى الملأ الأعلى تنويهاً بعلو درجتهم ، وزيادة ثوابهم وإخلاصهم فى عبادة ربهم ، وذكره جل وعلا وفيه : المكروب يقرأ القرآن ليفرج الله كربه والمعسور ليزيل عسره ، لأن ذلك أدعى للاجابة

وأقرب لنزول رحمة الله . يعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهاز الفرص لإجابة الدعاء ، أن تذهب وتتوضأ وتصلى ركعتين لله تعالى، ثم تجلس مع صالحين تذكرون الله وتتلون كتابه وتفهمون تفسير آياته ، ثم تكثرون من الاستغفار والصلاة على المختار صلى الله عليه وسلم وحينئذ ينتظر إغداق إحسان الله ونزول رحماته وشمول بركاته ، وقدمر صلى الله عليه وسلم بحلقة من أصحابه فقال : ما أجلسكم ؟

قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ماهدانا للاسلام ومن به علينا . فقال صلى الله عليه وسلم : أتانى جبريل فأخبرنى أن الله عز وجل يباهى بكم الملائكة . قال النووى : معناه يظهر فضلكم له ويريهم حسن عملكم ويثنى عليكم عندهم ، وأصل البهاء الحسن والجمال ، وفلان يباهى بماله أى يفخر ويتجمل به على غيره ويظهر حسنه ، فاتقوا الله أيها المسلمون واحرصوا على تعليم القرآن وربوا أبناءكم على حفظ آياته تربح وتنجح فهو الذى أخرج الناس من ظلمات الجهل والغى والفساد إلى نور العلم والاستقامة والصلاح ، وسطع نوره هديه فى الأكوان ، وظهرت آثار عدله ورحمته فى كل مكان .

قال تعالى : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى الصفة فقال أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى

بطحان أو إلى العقيق فيأتى منه بناقتين كوماوين فى غير إثم ولا قطيعة رحم ؟ فقلنا يارسول الله كلنا نحب ذلك قال : أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم أو فيقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين وثلاث، وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل . رواه مسلم وأبو داود وعنده : كوماوين زهراوين بغير إثم لله عز وجل ولا قطيعة رحم قالوا كلنا يا رسول الله قال : فلأن يغدو أحدكم كل يوم إلى المسجد فيعلم آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين وإن ثلاث فثلاث مثل أعدادهن».

بطحان بضم الباء وسكون الطاء موضع فى المدينة والكرماء بفتح الكاف وسكون الراء وبالمد : هى الناقة العظيمة السنام .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم من استمع إلى آية كتبت له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرب تبارك وتعالى من شغله القرآن عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه .

وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذى لايقرأ القرآن كمثل التمرة لاريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذى لايقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذى يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله أوصنى قال عليك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله قلت يارسول الله زدنى قال : عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك فى الأرض وذخر لك فى السماء .

وعن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : القرآن شافع مشفع وماحل مصدق من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار .

وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه .

وعن سهل بن معاذ عن أبيه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قرأ القرآن وعمل به ألبس والداه تاجاً يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا فما ظنكم بالذى عمل بهذا . رواه أبو داود والحاكم .

« أى الذى قرأ القرآن وعمل به أكسبه الله تاجاً أبهى وثواباً أكثر » .

وروى عن أبى أمامه . رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لعبد فى شىء أفضل من ركعتين يصليهما وإن البر ليذر

على رأس العبد مادام فى صلاته وما تقرب العباد إلى الله بمثل ماخرج منه يعنى القرآن .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال يجىء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن : يارب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يارب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول : يارب ارض عنه فيرضى عنه فيقال له : إقرأ وارق ويزداد بكل آية حسنة رواه الترمذى .

وقال صلى الله عليه وسلم : يقال لصاحب القرآن إقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها رواه الترمذى وأبو داود .

وعن ابن عمر رضى الله عنه : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله هذا الكتاب فقام به آناء الليل وآناء النهار ورجل أعطاه الله مالا فتصدق به آناء الليل وآناء النهار . رواه البخارى ومسلم .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يهولهم الفزع الأكبر ولاينالهم الحساب هم على كثيب من مسك حتى يفرغ من حساب الخلائق : رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله وأم به قوماً وهم به راضون وداع يدعو إلى الصلوات ابتغاء وجه الله وعبد

أحسن فيما بينه وبين ربه وفيما بينه وبين مواليه رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير بإسناد لا بأس به

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم ذوو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل منهم يعنى مامعه من القرآن فأتى على رجل من أحدثهم سناً فقال : مامعك يافلان ؟ قال : معى كذا وكذا وسورة البقرة فقال أمعك سورة البقرة قال نعم قال : اذهب فأنت أبرهم فقال رجل من أشرافهم والله ما منعنى أن أتعلم البقرة الا خشية إلا أقوم بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا القرآن واقرءوه فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه كمثل جراب محشو مسكاً يفوح ريحه فى كل مكان ومن تعلمه فيرقد وهو فى جوفه فمثله كمثل جراب أوكىء على مسك . رواه الترمذى واللفظ له .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لايوحى إليه لاينبغى لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد ولا يجهل مع من جهل وفى جوفه كلام الله . رواه الحاكم .

ومعنى أن يجد أى يغضب ويشتم ويذم وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن أسيد بن خضير بينما هو فى ليلة يقرأ فى مربده إذ جالت فرسه فقرأ ثم جالت أخرى فقرأ ثم جالت أخرى أيضاً . قال أسيد فخشيت أن يطأ يحيى فقمت إليها فإذا مثل الظلة فوق رأسى فيها أمثال السرج

عرجت فى الجو حتى ما أراها قال فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله بينما أنا البارحة فى جوف الليل إقرأ فى مربدى إذ جالت فرسى — أى اضطربت — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأ ابن خضير : قال فقرأت ثم جالت أيضاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ ابن خضير قال فقرأت ، ثم جالت أيضاً ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ ابن خضير قال فانصرفت وكان يحيى — ابنه رضى الله عنه خاف أن تطأه — قريباً منها خشيت أن تطأه فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت فى الجو حتى ما أراها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة تستمع لك ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ماتستتر منهم . رواه البخارى ومسلم واللفظ له .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنكم لاترجعون إلى الله بشىء أفضل مما خرج منه يعنى القرآن رواه الحاكم وصححه.

وعن عبد الله يعنى ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا القرآن مأدبة الله فأقبلوا مأدبته ما استطعتم إن هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لايزيغ فيستعتب ولا يعوج فيقوم ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق مع كثرة الرد أتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات أما أنى لا أقول ألم حرف ولكن ألف ولام حرف وميم حرف .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم إن لله أهلين من الناس قالوا من هم

يا رسول الله ؟ قال : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته رواه النسائى وابن ماجه .

وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ القرآن فاستظهره — أى أجاد حفظه وأتقن أحكامه — فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله به الجنة وشفعه فى عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار . رواه ابن ماجه والترمذى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ عشر آيات فى ليله لم يكتب من الغافلين . رواه الحاكم .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه رأى رؤيا أنه يكتب ص فلما بلغ سجدتها قال : رأى الدواة والقلم وكل شىء بحضرته انقلب ساجداً قال فقصصتها على النبى صلى الله عليه وسلم فلم يزل يسجد بها رواه أحمد ورواته رواة الصحيح .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله أنى رأيت فى هذه الليلة فيما يرى النائم كأنى أصلى خلف شجرة فرأيت كأنى قرأت سجدة فرأيت الشجرة كأنها تسجد لسجودى فسمعتها وهى ساجدة وهى تقول : اللهم اكتب لى بها عندك أجراً واجعلها لى عندك ذخراً وضع عنى بها وزراً واقبلها منى كما تقبلت من عبدك داود . قال ابن العباس فرأيت رسول الله صلى الله

عليه وسلم قرأ السجدة فسمعته وهو ساجد يقول مثل ماقال الرجل كلام الشجرة . رواه الترمذى وابن ماجه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كتبت عنده سورة النجم فلما بلغ السجدة سجد وسجدنا معه وسجدت الدواة والقلم . رواه البزار بإسناد جيد .

خلاصة ثمرات قراءة القرآن

١ — إن قارىء القرآن فى مصاف العظماء ومن أفضل الناس وأسماهم درجة « خيركم » .

٢ — يكتسب عن كل حرف جملة حسنات ويزداد عند الله تعالى درجات .

٣ — تشمل القارىء ظلة الرحمة ويحاط بملائكة الرحمة وتتنزل عليه السكينة .

٤ — يضىء الله قلب القارىء ويقيه ظلمات القيامة ويبعد عنه الشدائد .

٥ — القارىء رائحته زكية ومذاقه حلو كالأترجة وهو جليس صالح يقترب إليه الصالحون العاملون ليشموا عنه عطره وإذا أتقن قراءته وأجاد حفظه نال درجة الملائكة الأبرار وحشره الله فى زمرتهم لأنه ماهر بالقرآن .

٦ — قارىء القرآن لايحزنه الفزع الأكبر لأنه فى حماية الله

٧ — سبب رحمة والديه وإغراقهما بالنعيم ويمدهما الله بالأنوار المتلألئة جزاء قراءة إبنهما .

٨ — رقى القارىء إلى قمة المعالى فى الجنة ويصعد إلى ذروة النعيم .

٩ — يغبطه الصالحون ويتمنون أن يكونوا فى درجته السامية عند الله تعالى .

١٠ — تسبب القراءة وجود الملائكة حول القارىء يدعون له بالإكرام والمغفرة .

١١ — يستمسك بالعروة الوثقى ويتمتع بالشفاء الناجع ويعصم من الزيغ وينجو من الشدائد .

١٢ — يعد القارىء من المتقربين إلى الله جل وعلا وأهله وخاصته ومن العاملين اليقظين المشغولين .

ما جاء فيمن ليس فى جوفه شىء من القرآن الكريم

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب رواه الترمذى والحاكم .

وعن عبد الله بن مسعد رضى الله عنه قال إن أصغر البيوت بيت ليس فيه شىء من كتاب الله . رواه الحاكم .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

عرضت على أجور أمتى حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب أمتى فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها . رواه أبو داود والترمذى .

وعن مسعد بن عبادة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن امرىء يقرأ القرآن ثم ينساه إلا لقى الله أجذم . رواه أبو داود عن يزيد بن أبى زياد .

(قال الخطابى) قال أبو عبيد : الأجزم المقطوع اليد

وقال ابن قتيبة : الأجزم هاهنا : المجذوم

وقال ابن الأعرابى معناه أنه يلقى الله تعالى خالى اليدين من الخير .

دعاء يدعى به لحفظ القرآن الكريم

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال بأبى أنت تفلت هذا القرآن من صدرى فما أجدنى أقدر عليه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا الحسن أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وينفع بهن من علمته ويثبت ماتعلمت فى صدرك ؟ قال : أجل يارسول الله فعلمنى . قال : إذا كان ليلة الجمعة ، فإن استطعت أن تقوم فى ثلث الليل الآخر فإنها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب فقد قال أخى يعقوب

لبنيه : سوف استغفر لكم ربى ، يقول حتى تأتى ليلة الجمعة فإن لم تستطع فقم أوسطها فإن لم تستطع فقم فى أولها فصل أربع ركعات تقرأ فى الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس ، وفى الركعة الثانية : بفاتحة الكتاب ، وحم الدخان ، وفى الركعة الثالثة : بفاتحة الكتاب ، والم تنزيل السجدة ، وفى الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل ، فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأحسن الثناء على الله وصل على وأحسن ، وعلى سائر النبيين واستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولإخوانك الذين سبقوك بالإيمان ثم قل فى آخر ذلك : اللهم ارحمنى بترك المعاصى أبدا ما أبقيتنى وارحمنى أن أتكلف مالا يعنينى وارزقنى حسن النظر فيما يرضيك عنى اللهم بديع السماوات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة التى لاترام أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبى حفظ كتابك كما علمتنى ما رزقنى أن أتلوه على النحو الذى يرضيك عنى اللهم بديع السماوات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة التى لاترام ، أسألك يا الله يارحمن بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصرى وأن تطلق به لسانى وأن تفرج به عن قلبى وأن تشرح به صدرى وأن تستعمل به بدنى فإنه لايعينى على الحق غيرك ولا يؤتينيه إلا أنت ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . يا أبا الحسن تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمساً أو سبعاً تجاب بإذن الله والذى بعثنى بالحق ما أخطأ مؤمناً قط .

قال ابن عباس رضى الله عنهما فو الله مالبث على إلا خمساً أو سبعاً حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مثل ذلك المجلس فقال يارسول الله إنى كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات ونحوهن فإذا قرأتهن على نفسى تفلتن وأنا أتعلم اليوم أربعين آية ونحوها فإذا قرأتهن على نفسى فكأنما كتاب الله بين عينى ولقد كنت أسمع الحديث فإذا رددته تفلت وأنا اليوم أسمع الأحاديث فإذا تحدثت بها لم أخرم منها حرفاً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك مؤمن ورب الكعبة يا أبا الحسن . رواه الترمذى .

باب فى تعهد القرآن

القرآن ضيف كريم إذا حل بقلب ملأ نوره جنباته وإذا أنار ملأ أركان النفس هدى وضياءاً فاللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء همنا وذهاب حزننا .

من الكلمات التى مازلت أرددها وتملأ نفسى روحانية وصفاء تلكم الأبيات التى ذكرها الإمام الشاطبى رضى الله عنه فى كتابه « الشاطبية » والذى سماه حرز الأمانى ووجه التهانى .

قال رحمه الله عن القرآن الكريم :

وخير جليس لا يمل حديثه
وترداده تزداد فيه تجملا

وحيث الفتى يرتاع فى ظلماته
من القبر يلقاه سنا متهللا
هنالك يهنيه مقيلا وروضة
ومن أجله فى ذرة العز يجتلى
يناشد فى إرضائه لحبيبه
وأنعم به سؤلا إليه موصلا
فيا أيها القارى به متمسكا
مجلا له فى كل حال مبجلا
هنيئاً مريئاً والداك عليهما
ملابس أنوار من التاج والحلى

إذا علمت أن القرآن ضيف عزيز كريم فإن من واجب المضيف أن يكرم ضيفه ومن حق الضيف إذا لم يجد المضيف كريماً أن يرحل .

إذا أنت لم تكرم بأرضك فارتحل
فلا خير فى أرض مهان كريمها

وهل يكون إكرام القرآن إلا بتعهده وتلاوته وترتيله والعمل به وعدم الغفلة عنه .

بسم الله الرحمن الرحيم « يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو

أنقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا إن ناشئة الليل هى أشد وطئا وأقوم قيلا » .

وقال الله جل شأنه : « أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » .

وقد وردت عن النبى صلى الله عليه وسلم أحاديث تنص نصا صريحا على تعهد القرآن .

عن ابن عمر رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت . رواه البخارى ومسلم .

وزاد مسلم فى رواية : وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره وإذا لم يقم به نسيه .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئسما لأحدهم يقول : نسيت آية كيت وكيت بل هو نسى استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيا من صدورالرجال من النعم بعقلها . رواه البخارى هكذا ومسلم موقوفا .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعاهدوا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها . رواه مسلم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما أذن الله لشيء كما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به رواه البخاري ومسلم واللفظ له وأبو داود والنسائي .

قال الشافعي رضي الله عنه وموافقوه : معناه تحزين القراءة وترقيقها

وروى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا » رواه ابن ماجه .

وروى عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من أحسن الناس صوتا بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله . رواه ابن ماجه .

وعن ابن أبي مليكة قال : قال عبيد الله بن أبي يزيد رضي الله عنهما مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فدخلنا عليه فإذا رجل رث الهيئة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس منا من

لم يتغن بالقرآن قال : فقلت لابن أبي مليكة يا أبا محمد أرأيت إن لم يكن حسن الصوت ؟ قال : يحسنه ما أستطاع . رواه أبو داود .

والمقصود بقوله صلى الله عليه وسلم (يحسنه ما استطاع) أى يرتل بتؤده ويفكر فى معنى ما يقرأ ويجتنب الهذرمة يعنى الاستعجال وقد نعتت أم سلمة رضى الله عنها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا .

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما « لأن اقرأ البقرة وآل عمران ارتلهما وأتدبرهما أحب إلى من أن اقرأ القرآن كله هذرمة » .

وفى القرآن الكريم مواقف لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً فقد نصت أحاديث شريفة وكثيرة على أفضال قراءة القرآن الكريم وازداد الأمر تيسيرا لمن أراد أن ينال الثواب الأعظم والأجر الأكبر فدلت الأحاديث على سور لها ما لها من مكانة لمن قرأها من هذه السور سورة فاتحة الكتاب والتى شملت أصول الإسلام كلها عقيدة وبعثا وتاريخا وخلقا فشملت العقيدة فى قوله جل شأنه بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وشملت الجزاء الأخروى والبعث يوم القيامة فى قوله تعالى « مالك يوم الدين . وانتظمت العبادة فى قوله تعالى : إياك نعبد وإياك نستعين .

وحوت الخلق والسلوك فى قوله جل شأنه « اهدنا الصراط المستقيم »

وشملت التاريخ والسير وتاريخ الأمم فى قوله تعالى « صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » .

فهذه سورة الفاتحة عقيدة وجزاء وعبادة وسلوك وتاريخ وما أجمل ما يطلبه المؤمن من خالقه وهو ماثل بين يديه عندما يجعل القبلة أمامه والموت وراءه والجنة عن يمينه والنار عن شماله والصراط تحت قدميه معتقدا أن الله مطلع عليه ثم يتم ركوع الصلاة وسجودها فإذا سلم لا يدرى بعد ذلك أقبلها الله أم ردها عليه .

نعم إن من أدى الصلاة بشروطها وأركانها فلينتظر من الله خمس منح .

الأولى : يرفع عنه ضيق العيش .

الثانية : ينجو من عذاب القبر .

الثالثة : يعطى كتابه بيمينه .

الرابعة : يمر على الصراط كالبرق .

الخامسة : يدخل الجنة بغير حساب .

ومن أهمل فى أدائها فعليه أن يتقى الله ويؤديها كان بعض الصالحين يقول : من ترك صلاة الفجر فليس فى وجهه نورا ومن ترك صلاةالظهر فليس فى رزقه بركة ومن ترك صلاة العصر فليس فى جسمه قوة ومن

ترك صلاة المغرب فليس فى أولاده ثمرة ومن ترك صلاة العشاء فليس فى نومه راحة .

نعم : ما أجمل ما يتوجه به العبد إلى الله يسأله فى ضراعة وخشوع وتبتل وخضوع : « اهدنا الصراط المستقيم » أجمل نعمة وأعظمها نعمة الهداية . قال جل شأنه « واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم ، وقال سبحانه : « إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم » .

فأين نعثر على تلك الهداية ؟

لقد سألها العبد ربه فى سورة الفاتحة فدله مولاه عليها فى أول سورة البقرة فى قوله جل شأنه بسم الله الرحمن الرحيم آلم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » .

فالكتاب هدى ومن سار على نهجه كان على هدى والهداية لها معان أربعة :

أولها : الهداية الفطرية فمن هدى الطفل إلى أن يلتقم ثدى أمه ؟ ومن دله على أن هذا غذاؤه ؟ إنها الفطرة التى ركبها الله فيه .

والمعنى الثانى : هداية حسية فمن الذى أرشدنا إلى أن نستعمل

الحواس الخمس فيما خلقت له نذوق بألسنتنا ونشم بأنوفنا ونرى بأعيننا ونسمع بآذاننا ونلمس بأيدينا ؟ إنه الله .

قال : فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى » .

الشمس والبدر من أنوار حكمته
والبر والبحر فيض من عطاياه
الطير سبحه والوحش مجده
والموج كبره والحوت ناجاه
والنمل تحت الصخور الصم قدسه
والنحل يهتف حمدا فى خلاياه
والناس يعصونه جهرا فيسترهم
والعبد ينسى وربى ليس ينساه

المعنى الثالث : من معانى الهداية ، الهداية العقلية فلولا أن الله وهب الإنسان عقلا يميز به فهل هناك فرق عند فقد العقل بينه وبين السائمة قال تعالى حكاية عن أهل النار .

« وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير » .

وقال جل شأنه « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب

التى فى الصدور » . بل إن الإنسان إذا تجاهل وظيفة عقله واستعمله فى غير ما خلق له فإنه عندئذ أحط دركا من الأنعام . قال سبحانه : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » .

وقد جلت حكمة الله وهو يبين نعمه على عباده فيقول « ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين » فإنك تلمح فى هذه الآيات عمقا وأسراراً فإنه سبحانه لما نص على العينين واللسان والشفتين لم يصرح بوظائفها لأنها معروفة فالعينان للبصر واللسان للكلام والشفتان ليقبضا على الفم فيحفظ من تسرب الهوام ولولا الشفتان ما استطاع الرضيع أن يلتقم ثدى أمه هذه وظائف معروفة لكنه فى الآية التى بعد ذلك « وهديناه النجدين » دل على وظيفة العقل دون أن ينص على العقل لأن أهم الأشياء أن يستعمل العقل فى الهداية إلى الخير وهذا مما يدل دلالة قاطعة على أن وظيفة العقل هى الهدف الأسمى إذا سار على طريق الله المستقيم .

والمعنى الرابع : من معانى الهداية وهو أشرفها وأعظمها الهداية الدينية وهى وظيفة الرسل عليهم صلوات الله وسلامه « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما » .

هؤلاء المبشرون المنذرون وصفوا بالصدق والأمانة والعصمة والتبليغ والفطانة فبلغوا رسالة الله وأدوا أمانته قال تعالى : « فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لما حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » .

هذا طواف حول معنى الهداية فى قوله تعالى « اهدنا الصراط المستقيم » .

اللهم اجعلنا من المهتدين الراشدين وأرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه .

لقد وردت فى سورة الفاتحة أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمل بنا أن نذكرها .

عن أبى سعيد بن المعلى رضى الله عنه قال : كنت أصلى بالمسجد فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه ثم أتيت فقلت يا رسول الله إنى كنت أصلى فقال ألم يقل الله تعالى « استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم » ثم قال لأعلمنك سورة هى أعظم سورة فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد فأخذ بيدى فلما أردنا أن نخرج قلت يارسول الله إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة فى القرآن قال : الحمد لله رب العالمين هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته » رواه البخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أبى بن كعب فقال يا أبى — وهو يصلى — فالتفت أبى فلم يجبه وصلى أبى فخفف ثم انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ما منعك يا أبى أن تجيبنى إذ دعوتك ؟ فقال : يارسول الله إنى كنت فى الصلاة قال : فلم تجد فيما أوحى الله إلى أن استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ؟ قال : بلى ولا أعود إن شاء الله قال أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها قال : نعم يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقرأ فى الصلاة ؟ قال : فقرأ أم القرآن . فقال رسول الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ما أنزل الله فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها وأنها سبع من المثانى والقرآن العظيم الذى أعطيته رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ورواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما .

وعن أنس رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم فى مسير فنزل ونزل رجل إلى جانبه قال : فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم فقال ألا أخبرك بأفضل القرآن قال بلى فتلا الحمد لله رب العالمين رواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول قال الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل وفى رواية فنصفها لى ونصفها لعبدى فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدنى عبدى فإذا قال الرحمن الرحيم قال أثنى على عبدى فإذا قال مالك يوم الدين قال مجدنى عبدى فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل ، فإذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدى ولعبدى ما سأل رواه مسلم .

قوله قسمت الصلاة : يعنى القراءة بدليل تفسيره بها وقد تسمى القراءة صلاة لكونها جزءا من أجزائها والله أعلم .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بينما جبرائيل عليه السلام قاعد عند النبى صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا(*) من فوقه فرفع رأسه فقال : هذا باب من السماء فتح لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته رواه مسلم والنسائى .

(*) النقيض هو الصوت .

الزهراوين المضيئتين
البقرة وآل عمران

والآن ننتقل إلى الزهراوين المضيئتين المشرقتين (البقرة وآل عمران (نغترف من منهلهما العذب المورود عسى الله أن يجعلهما لنا مظلتان تظللان علينا من شمس يوم القيامة فماذا قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هاتين السورتين ؟

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة رواه مسلم والنسائى والترمذى .

وعن معقل بن يسار رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : البقرة سنام القرآن وذروته نزل مع كل آية منها ثمانون ملكا واستخرجت : الله لا إله إلا هو الحى القيوم من تحت العرش فوصلت بها أو فوصلت بسورة البقرة وياسين قلب القرآن لا يقرأها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال بينما جبرائيل عليه السلام قاعد عند النبى صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء فتح لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال : أبشر بنورين

أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته . رواه مسلم والنسائى والحاكم وتقدم .

وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنها غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة .

قال معاوية بن سلام بلغنى أن البطلة السحرة رواه مسلم .

الغايتان مثنى غاية وهى كل شىء أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة والغاشية ونحوهما وفرقان أى قطعتان .

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل شىء سناما وإن سنام القرآن سورة البقرة من قرأها فى بيته ليلا لم يدخل الشيطان بيته ثلاث ليال ومن قرأها نهارا لم يدخل بيته ثلاثة أيام رواه ابن حبان فى صحيحه .

وعن عبد الله رضى الله عنه قال اقرءوا سورة البقرة فى بيوتكم فإن الشيطان لا يدخل بيتاً يقرأ فيه سورة البقرة .

وعن أسيد بن حضير رضى الله عنه أنه قال يا رسول الله بينما أنا أقرأ الليلة سورة البقرة إذ سمعت وجبة من خلفى فظننت أن فرسى

انطلق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ أبا عتيك فالتفت فإذا مثل المصباح مدلى بين السماء والأرض ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرأ أبا عتيك فقال يا رسول الله فما استطعت أن أمضى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة تنزلت لقراءة سورة البقرة أما إنك لو مضيت لرأيت العجائب . رواه ابن حبان فى صحيحه والبخارى ومسلم .

وعن ابن بريدة عن أبيه رضى الله عنه مرفوعاً :

تعلموا البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف » رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

وعن عبيد بن عمير رضى الله عنه أنه قال لعائشة رضى الله عنها أخبرينا بأعجب شئ رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فسكتت ثم قالت لما كان ليلة من الليالى قال يا عائشة ذرينى أتعبد الليلة لربى قلت والله إنى أحب قربك وأحب ما يسرك قالت : فقام فتطهر ثم قام يصلى قالت فلم يزل يبكى حتى بل حجره قالت وكان جالسا فلم يزل يبكى صلى الله عليه وسلم حتى بل لحيته قالت : ثم بكى حتى بل الأرض فجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكى قال يا رسول الله تبكى وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبداً شكورا لقد نزلت على الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها

« إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » رواه ابن حبان فى صحيحه وغيره .

وروى ابن أبى الدنيا عن سفيان يرفعه قال من قرأ آخر آل عمران ولم يتفكر فيها ويله فعد بأصابعه عشرا .

والآن إلى سيدة آى القرآن الكريم إلى آية التوحيد والجلال والعظمة إلى اسم الله الأعظم إلى الله إلى الحى إلى القيوم إلى الذى تنزه عن الشريك ذاته وتقدست عن مماثلة الأغيار صفاته إلى الذى هو بالبر معروف وبالإحسان موصوف معروف بلا غاية وموصوف بلا نهاية إلى من لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ولا تحويه الأقطار ولا يؤثر فيه الليل والنهار وهو الواحد القهار إلى من لا يحويه مكان ولا يجرى عليه زمان إلى من خشعت الأصوات لعظم ملكوته وعنت الوجوه بجلال جبروته إلى من يحيى العظام وهى رميم وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم ، إلى آية الكرسى آية الجلال والجمال والعظمة والكمال .

ماذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم عنها ؟

عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه أنه كانت له سهوة فيها تمر وكانت تجىء الغول فتأخذ منه قال فشكا ذلك إلى النبى صلى الله عليه

وسلم فقال إذهب فإذا رأيتها فقل بسم الله أجيبي رسول الله قال فأخذها فحلفت ألا تعود فأرسلها فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما فعل أسيرك ؟ قال حلفت ألا تعود قال : كذبت-وهي معاودة للكذب قال فأخذها مرة أخرى فحلفت ألا تعود فأرسلها فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما فعل أسيرك ؟ قال : حلفت ألا تعود فقال : كذبت وهي معاودة للكذب فأخذها فقال ما أنا بتاركك حتى أذهب بك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إني ذاكرة لك شيئاً آية الكرسي اقرأها في بيتك فلا يقربك شيطان ولا غيره . فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما فعل أسيرك ؟ قال : فأخبره بما قالت . قال : صدقت وهي كذوب . رواه الترمذي .

والمراد (بالسهوة) بفتح السين المهملة هي الطاق في الحائط يوضع فيها الشيء وقيل هي الصفة وقيل المخدع بين البيتين .

والغول بضم الغين المعجمة هو شيطان يأكل الناس وقيل هو من يتلون من الجن .

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه أن أباه أخبره أنه كان لهم جرين(*) فيه تمر وكان مما يتعاهده فيجده ينقص فحرسه ذات ليلة فإذا هو بدابة كهيئة الغلام المحتلم قال فسلم فرد عليه السلام فقلت ما أنت جن أم إنس قال جن فقلت ناولني يدك فإذا يد كلب وشعر كلب فقلت خلق الجن

(*) الجرين هو ما يوضع فيه الطعام كالتمر ونحوه .

فقال : لقد علمت الجن أن ما فيهم من هو أشد منى فقلت ما يحملك على ما صنعت ؟ قال : بلغنى أنك تحب الصدقة فأحببت أن أصيب من طعامك ، فقلت ما الذى يحرزنا منكم قال : هذه الآية آية الكرسى قال فتركته وغدا أبى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال صدق الخبيث . رواه ابن حبان فى صحيحه وغيره .

وعن أبى بن كعب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم قال قلت الله ورسوله أعلم قال : يا أبا المنذر أى آية من كتاب الله معك أعظم قلت الله لا إله إلا هو الحى القيوم قال فضرب فى صدرى وقال ليهنك العلم أبا المنذر رواه مسلم وأبو داود .

ورواه أحمد وابن أبى شيبة فى كتابه باسناد مسلم وزاد والذى نفسى بيده إن لهذه الآية لسانا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش .

أما عن أفضال قراءة سورة الكهف فيقولَ النبى صلى الله عليه وسلم : عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال : من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال رواه مسلم واللفظ له وأبو داود والنسائى .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من قرأ الكهف كما أنزلت كانت له نوراً يوم القيامة من مقامه إلى مكة ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يسلط

عليه ومن توضأ ثم قال سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك كتب فى رق ثم طبع بطابع فلم يكسر إلى يوم القيامة رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم .

أما عن فضل قراءة سورة ياسين يقول الرسول صلى الله عليه وسلم .

عن معقل بن يسار رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلب القرآن ياسين لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له أقرءوها على موتاكم رواه أحمد وأبو داود والنسائى .

وروى عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل شىء قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات .

زاد فى رواية دون يس رواه الترمذى .

وعن جندب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر له رواه مالك وابن السنى وابن حبان فى صحيحه .

المؤلف

عبد الحميد كشك

حينما بدانا نشر هذه السلسلة من كتب فضيلة الشيخ كشك غفلنا عن ذكر تسلسل حياته .. لانه غنى عن التعريف .. ولكن استجابة لرسائل القراء التى تصلنا من مختلف انحاء العالم الاسلامى والتى تطالبنا بمعرفة حياة الداعية الكبير نقدم لهم حياة المؤلف فى سطور :

- عبد الحميد عبد العزيز محمد كشك .
- من مواليد بلدة شبراخيت محافظة البحيرة عام ١٩٣٣ .
- التحق بجمعية تحفيظ القرآن الكريم ، حيث اتم حفظه القرآن وهو فى الثانية عشرة من عمره .
- التحق بالقسم الابتدائى بمعهد الاسكندرية الدينى .
- وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية ، أنعم الله عليه بفقد البصر ، فواصل الطريق فى طلب العلم بجد ومثابرة ، بعد ما قضى حولين من عمره يطلب العلاج ، ولكنه حمد الله على قدره ، فان الله يعوض عن نور البصر ذكاء البصيرة .
- التحق بمعهد القاهرة الثانوى ، وكان الأول على فرقته دائما ، وحصل على مجموع مائة فى المائة عندما انتقل من الثالثة الى الرابعة فى القسم الثانوى ، وفى الشهادة الثانوية حصل على مجموع ٩٨ر٪ .
- التحق بكلية اصول الدين ، حيث حصل على الشهادة العالية، وكان ترتيبه الأول ، ومثل الازهر الشريف فى عيد العلم عام ١٩٦١ .
- حصل على شهادة العالمية مع تخصص التدريس العالى .
- عمل اماما وخطيبا بمساجد وزارة الأوقاف .
- خطيب وامام مسجد عين الحياة (الملك سابقا) منذ عام ١٩٦٤

والآن يوجه دعوته على منبر مسجد عين الحياة بشارع مصر والسودان بالقاهرة .

الناشر

فهـــرس

صفحة

مقـــدمة ٥
أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها ٦
الناس فى الحساب على أصناف متعددة . . . ١٧
كلمة عن القرآن الكريم ٣٠
خلاصة ثمرات القرآن ٣٩
ما جاء فيمن ليس فى جوفه شىء من القرآن الكريم . ٤٠
دعاء يدعى به لحفظ القرآن الكريم ٤١
باب فى تعهد القرآن الكريم ٤٣
معنـــى الهـــداية ٤٩
طواف حول معنى الهداية ٥٢
الزهراوين المضيئتين البقرة وآل عمران . . . ٥٥

رقم الايداع ١٩٨١/٢٤٨٢

الترقيم الدولى ٤ـ٢٤ـ٧٣٢٣ـ٩٧٧ ISBN

مطابع الاهرام التجارية القاهرة ـ مصر